مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

بحث
١

علاقة الانباط السياسية مع الكيان اليهودى بأورشليم

منذ بداية عهد الحارث الثانى حتى نهاية عهد الحارث الثالث

إعداد

د/ السيد محمد السعيد عبد الله
مدرس التاريخ القديم
كلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس

محكمة تصدرها كلية الآداب بالمنوفية

العدد الحادى والأربعون
أبريل ٢٠٠٠

علاقات الأنباط السياسية مع الكيان اليهودى بأورشليم
منذ بداية عهد الحارث الثانى حتى نهاية عهد الحارث الثالث

لعب الأنباط دورا سياسيا هاما ومتميزا فى تاريخ التواجد اليهودى[١] بأورشليم [٢]، وقد كان للموقع الجغرافى للدولة النبطية المتاخم للحدود الفلسطينية أثره الكبير والفعال فى هذا المضمار؛ حيث تحدها فلسطين من الشمال، ومن الجنوب بادية الحجاز، ومن الغرب وادى العرابة، ومن الشرق بادية الشام[٣].

وقد اتسمت العلاقات السياسية النبطية اليهودية طوال تاريخها بصفة عامة بالطابع العدائى، ولعل تلك السمة قد توارثها الأنباط عن أسلافهم

---

(١) يرجع أصل مصطلح يهودى إلى لفظة "يهوذى"، وذلك نسبة إلى "يهوذا" أحد أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام، والذى إليه يعود سبط يهوذا، وكان يطلق هذا اللفظ على سكان مملكة يهوذا التى نشأت بعد انشقاق مملكة سيدنا سليمان عليه السلام إلى مملكتين؛ هما مملكة اسرائيل فى الشمال، ومملكة يهوذا بالجنوب، وعقب سقوط مملكة اسرائيل أصبح اسم يهوذا غير قاصر على أهالى مملكة يهوذا، وأخذ يطلق بصفة عامة على كل نسل سيدنا يعقوب عليه السلام وعلى كل من اعتنق الديانة اليهودية :

محمد خليفة حسن أحمد : رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٢٢.

(٢) اسم "أورشليم" ليس عبريا أصيلا كما يزعم، بدليل أن تلك المدينة كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول العبريين إليها، ويتضح ذلك من خلال أحد النصوص التى عثر عليها بتل العمارنة، والذى ذكرت به تلك المدينة تحت اسم "أوروسالم"، وهذا النص عبارة عن رسالة بعث بها الحاكم المصرى لهذه المدينة ويدعى "عبد يحيبا" إلى سيده "امينوفيس الثالث" (١٤١١-١٣٧٥ ق.م) يستنجده بمدد عسكرى لصد إحدى الغارات لأقوام تدعى "حبيرو" (يرجح أنهم العبريون)... وجدير بالذكر فى هذا الصدد بأن اسم أورشليم تكرر ذكره فى لغات أخرى لاحقة؛ فورد بنقش اشورى للملك سنحاريب (حوالى عام ٧٠٠ ق.م) باسم "اوروسليمو" وفى العبرية باسم "يروشالايم"، وفى النقوش اليونانية باسم "هيروسوليما"... اما عن معنى إسم أورشليم فانه يرجح بانه مركب من لفظة "اور" وتعنى موضع أو مدينة، ولفظة "شالم" وهى اسم لاله وثنى هو إله السلام الذى كان يعبده أهالى تلك المدينة قبل قدوم العبريين، وبذلك فان اسمها يعنى مدينة السلام :

حسن ظاظا : القدس مدينة الله ام مدينة داود، الاسكندرية، ١٩٧٠ ، ص ٨-٩.

أيضا: محمد بيومى مهران : المدن الكبرى فى مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام، بيروت، ١٩٧٩، ص٩١.

الأدوميين[١]، الذين لم يرد ذكرهم بأسفار العهد القديم إلا ويصب عليهم اللعنات[٢] وتضمر لهم النقمة[٣]، وعامة فقد تجلت تلك الروح العدائية فى العلاقات السياسية النبطية اليهودية بشكل وصلت فيه إلى ذروتها منذ بداية حكم الملك النبطى "الحارث الثانى" إلى نهاية حكم "الحارث الثالث"، ويستدل على ذلك من المصادمات الكثيرة الدامية التى نشبت آنذاك بين الأنباط واليهود المكابيين، إلا أن هناك إرهاصات أو مقدمات لتوترات سبقت ذلك العهد بقليل، غير أنها لم تتعد فى كونها عن مجرد أزمات سياسية أدت لشكل من عدم الوفاق بين الجارين، وقد تجلى ذلك واضحا بصفة خاصة خلال عصر الملك النبطى "الحارث الأول"[٤]، وطبيعة الموقف الذى إتخذه من تلك الاضطرابات الخطيرة التى شهدتها أورشليم حينما كانت تتبع حكم السلوقيين؛ والتى ترتبط أحداثها بما قام به الملك السلوقى "انطيوخوس الرابع" (ابيفانوس) (١٧٤-١٦٤ ق.م) من عزل للكاهن الأعظم "اونياس الثالث" وابداله باخيه ياسون[٥]، بعد أن قدم الأخير رشوة من المال للملك السلوقى الذى أمر بنفى أونياس إلى أنطاكية ليقتل هناك بعد ذلك[٦]، وحدث فى أعقاب هذا أن أرسل ياسون فى عام ١٧١ ق.م رسولا يدعى "منلاوس" الى انطيوخوس الرابع بالمال المتفق دفعه للملك، إلا أن منلاوس هذا إنقلب على ياسون؛ حيث نجح فى إقناع انطيوخوس

---

(١) الادميون شعب من نسل عيسو (الابن البكر لاسحاق عليه السلام) كان يسكن بلاد ادوم الواقعة جنوب شرق الاردن الحالية، والتى كانت تضم سلسلة المدن الممتدة شرق وادى عربة، وكانت بلاد أدوم تسمى فى عهد الحوريين الذين سبقوهم فى سكناها باسم "سعير"، وقد اسس الادوميون بعد أن طردوا الحوريين عدة مدن هامة أشهرها "سلع" و "إيلة" :
نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣، ص١٠٩.

(٢) ومن أمثلة ذلك ما ورد بسفر عوبديا ما نصه : "رؤيا عوبديا. هكذا قال السيد الرب عن أدوم. سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسولا بين الأمم. قوموا ولنقم عليها الحرب. انى قد جعلتك صغيرا بين الأمم. أنت محتقر جدا. تكبر قلبك قد خدعك أيها الساكن فى محاجئ الصخر" (عوبديا ١-٤).

(٣) عبد الله الحلو : صراع الممالك فى التاريخ السورى القديم، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٩٣.

(٤) يعتبر الحارث الأول إلى وقتنا الحاضر أقدم ملك نبطى وصل إسمه إلينا، وذلك طبقا لأحد النقوش النبطية التى ترجع فى تاريخها لعام ١٦٩ ق.م.
Lewis, B., The Arabs in History, 5th. ed., London, 1968, P.26.

(٥) السيد محمد عاشور : اليهود فى عصر المسيح، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٥.

(٦) جورج منددهول : "القدس من ١٠٠٠-٦٣ ق.م" ، ترجمة : كامل جميل العسلى، القدس فى التاريخ، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٢، ص٨٦.

فى تعينه كاهن أعظم محل ياسون مقابل دفعه لإضعاف ما كان يدفعه ياسون، الذي اضطر أمام هذا إلى الهروب من أورشليم ويختبأ بشرق الأردن[١]، ثم تطورت الاحداث بعد ذلك حينما قام انطيوخوس الرابع بغزو مصر عام ١٦٩/١٧٠ ق.م، وأشيع آنذاك بأورشليم بأنه قد قتل هناك[٢]، مما دفع هذا ياسون للخروج من مخبئه، وهاجم أورشليم مستعينا بأنصاره لاستعادة منصبه[٣]، فأدى ذلك لنشوب حرب أهلية هناك هزم فيها ياسون وأضطر إلى الهروب[٤]، وخلال تلك الأحداث الخطيرة التى كانت تمر بها أورشليم، لم يحاول الجار النبطى التدخل كوسيط دبلوماسى لوقف ما تعانيه تلك المدينة حتى بعد أن عاد إليها إنطيوخوس الرابع من مصر وتنكيله البالغ باليهود، والأكثر من هذا نجد الحارث الأول يأبى تماما إيواء ياسون حينما لجأ هاربا إلى بلاطه[٥]، بل ويقوم بتعقبه حتى اضطره للفرار إلى مصر[٦].

وهكذا يتضح مما سبق بأن العلاقات السياسية عبر الفترة التى سبقت عصر الحارث الثانى مباشرة لم تكن بالعلاقات الحميدة، وإنه قد انتابها قدر من التوتر السياسى بين الأنباط واليهود، ولذا فيمكن اعتبار تلك الفترة وما عايشته من أحداث بمثابة تمهيد لمرحلة تالية من علاقات أشد وأكثر ضراوة، لما تحويه من صراعات ومصادمات عسكرية دامية بين الطرفين، وذلك بداية من عصر الحارث الثانى وختاما بعصر الحارث الثالث، والجدير بالذكر فى هذا المضمار بأن هناك عدة عوامل ودوافع كانت وراء إشعال هذه الروح العدائية التى شهدتها العلاقات السياسية النبطية اليهودية عبر تلك الفترة المذكورة، وأهمها هى :

---

(١) هايبل فهمى عبد الملك : "أورشليم (القدس) منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الرومانى"، الندوة الدولية "القدس: التاريخ والمستقبل (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦)"، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، ص٢٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠١.

(3) Bickerman, E.J., "The Historical Foundation of Postbiblical Judaism", The Jews, their history, culture and Religion, Vol. I, New York, 1949, P.106.

(٤) جورج مندنهول : المرجع السابق، ص٨٧.

(٥) نبيه عاقل : المرجع السابق، ص ١١٣.

(٦) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٣.

• **الثورة المكابية ودعوتها للعنف والتوسع على حساب الجيران :**

تعد الثورة المكابية[1] من الأحداث السياسية الهامة التى لها دور بالغ فى علاقات اليهود واتصالاتهم مع العالم الخارجى ككل وبجيرانهم العرب الأنباط بصفة خاصة، وذلك راجع لتلك المفاهيم المنبثقة عن هذه الثورة والتى من شأنها أن ألهبت من حدة التوتر مع هؤلاء الأقوام، إذ عمقت لدى اليهود الشعور بأنهم شعب من الغزاه يعشقون ويقوة العنف، حتى إنه فى الوقت الحاضر تطلق الكثير من المنظمات والأنشطة الصهيونية على نفسها اسم "مكابى"[2] لإحياء تقاليد ذلك العنف[3]، ولذا فليس بالأمر الغريب أن يندفع آنذاك هؤلاء اليهود مع زعمائهم من المكابيين المتحمسين أمثال اسكندرجانيوس وغيره للغزو والسطو على أملاك جيرانهم من العرب الأنباط، وما أشبه الأمس باليوم، غير أن ملوك تلك الدولة العربية وقفوا بقوة وحزم بالغين فى وجه هذه الأطماع.

• **قلق الأنباط البالغ على تجارتهم المزدهرة من التنافس المكابى :**

تشير المصادر الكلاسيكية الى أن الأنباط يعدون من أشهر الشعوب العربية اهتماما بالتجارة، وانهم حققوا من ورائها أرباحا طائلة جعلتهم من أغنى المجتمعات

---

(١) الثورة المكابية : وهى تنسب الى كاهن يهودى من بنى يوياريب يدعى "متيتا بن يوحنا بن سمعان" وأبنائه الخمسة: يوحنا، سمعان، يهوذا، إلعازار، يوناتان (مكابيين أول ٢ : ١ - ٢)، وقد اندلعت تلك الثورة عام ١٦٨ ق.م ضد حكم السلوقيين وملكهم انطيوخس الرابع" الذى قاسى اليهود على عهده أشد الاضطهادات الدينية، لدرجة أنه قد أمر بإقامة الطقوس الوثنية الهللنية محل اليهودية فى الهيكل، وقد تمكن الثوار المكابيين بعد حروب عديدة خاضها متيتا وأبناؤه من بعده من الحصول على الاستقلال عن الحكم السلوقى عام ١٤١ ق.م والاعتراف بسمعان بن متيتا حاكما مستقلا (السيد محمد عاشور : المرجع السابق ، ص١٨).

(٢) اختلفت الآراء حول معنى هذا الاسم؛ فهناك من يرى بأنه مشتق من كلمة "مكابا" العبرية التى تعنى المخبأ لأن زعماء الثورة كانوا يختبئون فى بداية الأمر بالمغاور (محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٩، ص٢٩٨)، وهناك من يذكر أيضا بأن هذا الأسم مشتق من كلمة "مقبى" العبرية التى تعنى المطرقة (عبد الوهاب المسيرى: موسوعة : اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢١٠).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

بجزيرة العرب، ويذكر ديودور الصقلى عن هذا بقوله : "الأنباط هم أثرى الأقوام العربية، رغم قلة أعدادهم التى لاتتجاوز العشرة آلاف رجل، ويرجع الفضل فى ثرائهم إلى الاتجار البحرى فى اللبان والمر وغيرهما من العطريات"(١)، وهى سلع هامة تكمن قيمتها آنذاك فى استخدامها بالطقوس الدينية، ولذا فكانت تجد ترحيبا منقطع النظير بين ممالك العالم القديم كمصر وبابل(٢)، ومما لا شك فيه بأن موقع بلاد الأنباط فى ملتقى الطرق التجارية القادمة من العراق شرقا، واليمن جنوبا، وسوريا وفلسطين شمالا، ومصر غربا، قد جعل القوافل التجارية المحملة بتلك السلع الهامة تتدفق إلى عاصمتهم البتراء، التى غدت كميناء صحراويا لم ينقصه شيئا، كالأماكن الخاصة لمبيت أصحاب القوافل، واسطبلات جمالهم، حتى أيضا أماكن التسلية قد توافرت بها، فضلا عن هذا فقد تمكن الأنباط بما لديهم من حسن تجارى فائق أن يجعلوا عاصمتهم ليست مجرد مركز للترنزيت تستريح به القوافل عبر رحلاتها التجارية، بل غدت هى المحطة النهائية لتلك القوافل؛ حيث هناك يقوم الأنباط بشراء كافة ما تحمله من بضائع، ثم يعيدون شحنها من جديد(٣)، ويحملونها عبر نقب فلسطين لتصدر إلى الخارج من موانئ البحر المتوسط(٤).

فكل هذا من شأنه أن جعل دولة الأنباط تكرس كافة الأولويات للمحافظة على مصالحها التجارية، وتجعل سياستها وعلاقاتها الخارجية تخدم ذلك الغرض، ومن هذا المنطلق فلا يمكن للأنباط بأن يسمحوا أن يظهر بالمنطقة أية منافس لهم في هذا المضمار، ولذا فكانوا ينظرون بعين الريبة والقلق تجاه الاهتمام المكابى المتزايد بالتجارة الخارجية؛ والمتمثل فى تشييدهم لأسطول(٥) تجارى كبير بالبحر المتوسط

---

(1) Diodorus of Sicily, Translated by Geer, R.M., Vol. X, BK. XIX, London, P.89.

(2) Bidwell, R., The Two Yemens, Westview press, 1983, P.2.

(٣) عبد الله الحلو : المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(4) Starcky, J., "The Nabataeans : A Historical Sketch", BA, Vol. XVIII, N.4, December, 1955, P.87.

(٥) مما يؤكد اهتمام المكابيين بوجود أسطول تجارى لهم هو العثور على رسوم لسفن محفورة على جدران مقابر الأسرة المكابية بمودين : محمد بيومى مهران : بنو اسرائيل ، الجزء الثانى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٠٠١.

جعلوا يافا مقرا له[1]، واستيلائهم على العديد من الموانى التجارية المطلة عليه، ومنها غزة ذات المكانة التجارية البالغة الأهمية في التجارة العربية[2]، وتجارة الأنباط بصفة خاصة، مما ألهب كل ذلك من حدة العداء النبطى اليهودى.

- **الفراغ السياسى بجوف سوريا ألهب الصراع النبطى المكابى :**

شهدت منطقة جوف سوريا[3]، تنافسا حادا بين الأنباط والمكابيين للسيطرة عليها، لما كانت تعانيه تلك المنطقة منذ أواخر القرن الثانى ق.م من فراغ سياسى رهيب ناجم عن ذلك الضعف البالغ للقوى السياسية المسيطرة عليها؛ فالدولة السلوقية صاحبة السلطان والسيادة[4] هناك قد تعرضت منذ الربع الأخير من هذا

---

(١) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار العلم، بيروت، ١٩٧٦، ص٦٤١.

(٢) لم تقتصر المكانة التجارية لغزة على كونها ميناء هاما بالبحر المتوسط، بل تعد كذلك المحطة الأولى للقوافل القادمة لمصر من جزيرة العرب، ولذا فقد وردت بالعديد من النقوش العربية القديمة؛ على سبيل المثال تكرر ذكرها بالنقوش المعينية، من ذلك نقش تجارى معينى محفور على الجانب الشرقى من السور المحيط بمدينة معين، يرجع لعهد الملك المعينى "ايل يفع ريام" (حوالى عام ٣٧٠ ق.م)، ويشير هذا النقش عن وجود تجارة معينية مع مصر وأشور وغزة، وذلك فى الآتى :

"
)X&o |)&hn | &1ho |)3hho | X&Ho |)hd | 1hX)
رتكل/ مصر/ وغزت/ وأشر/ وسلم/ بأمر/ عثتر
"

تجارة مصر وغزة وأشور وسلام بأمر عثتر

(عبد المنعم عبد الحليم سيد : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٣٨٣).

(٣) تشمل منطقة جوف سوريا كل من فلسطين وجنوب سوريا، ويحدها من الشمال جبل هرمون (جبل الشيخ)، ومن الشرق نهر الأردن، ومن الغرب البحر المتوسط :
هابيل فهمى عبد الملك : المرجع السابق، ص١٩٩.

(٤) انتقلت السيادة على جوف سوريا نهائيا إلى السلوقيين من أيدى البطالمة، بعد تلك الهزيمة الفادحه للقائد البطلمى "سقوباس" أمام الملك السلوقى "انطيوخوس الثالث" (٢٢٣-١٨٧ ق.م) فى معركة "بانيون Panion" (قرب منابع نهر الأردن)، وعلى أثرها اضطر سقوباس للانسحاب مع من تبقى من رجال إلى صيدا، فحاصرها انطيوخوس برا وبحرا فى صيف عام ٢٠٠ ق.م، وأرغم سقوباس على الاستسلام فى ربيع عام ١٩٩ ق.م، ثم تقدم انطيوخوس بعد ذلك واستولى على أورشليم، وتمكن من بسط سيطرته التامة على كل فلسطين، ولم يواف عام ١٩٨ ق.م حتى كانت مصر البطلمية فقدت بالكامل أمام هذا الملك السلوقى منطقة جوف سوريا إلى غير رجعة :
إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٧٥.

القرن لمرحلة بالغة من الضعف والاضمحلال، وذلك لما أصابها من كوارث جسلم، بتمثل أهمها فى تلك الهزائم المروعة[1]، التى منيت بها أمام الرومان، وما تمخض عنها من آثار سلبية، هذا بالإضافة للتهديدات الاخرى المتلاحقة التى عانت منها الكثير خاصة من البراثيين أو الأرمن، فضلا عن ذلك فإن الصراع المرير على السلطة داخل البيت السلوقى نفسه قد ساهم بنصيب وافر فى هذا التدهور، ومما لاشك فيه بأن كل ذلك كان له أثره الخطير على منطقة جوف سوريا التى بدت بالطبع هيمنة السلوقيين السياسية ضعيفة جدا بها، وباتت مهددة بالزوال، هذا وفى نفس الوقت أيضا كانت دولة البطالمة ذلك المناوئ التقليدى للسلوقيين فى السيطرة على تلك المنطقة تعانى من الضعف والاضمحلال منذ أواخر القرن الثالث ق.م[2]، فضلا عن ذلك فإن روما تلك القوة الفتية آنذاك كانت لاتزال بعيدة عن التفكير فى ضم سوريا ككل إلى أملاكها.

فكل ذلك من شأنه أن أطمع اليهود بعد نجاح ثورتهم فى استثمار هذا الموقف الكائن بالجوف السورى لحسابهم، فقاموا بمحاولات عدة لتوسيع أملاكهم بتلك المنطقة، مما أدخلهم ذلك فى تنافس قوى مع العرب الأنباط الذين كان لديهم أيضا نفس تلك الرغبة، ولم يكن بالمستطاع إيجاد تسوية بين الطرفين نظرا للتباين الكبير

---

(١) منيت الدولة السلوقية فى أوج قوتها بعصر ملكها انطيوخوس الثالث (الكبير) بهزيمتين مروعتين أمام الرومان، الأولى بمعركة "ترموبيلى" عام ١٩١ ق.م، والأخرى بالعام التالى فى معركة "مغنيزيا" بغربى آسيا الصغرى، واضطر انطيوخوس أمام هاتين الهزيمتين من قبول شروط الصلح المجحفة التى فرضتها روما، ومن أهمها تخليه عن جميع ممتلكاته فيما وراء جبال طوروس، هذا فضلا عن دفعه لغرامة حربية ثقيلة، وبهذا قد فقد إلى الأبد السلوقيون آسية الصغرى بما فيها من طرق تجارية برية هامة وبما تقدمه أيضا من اتصال مباشر مع الحضارة اليونانية :
فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة : جورج حداد وعبد المنعم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨، ص٢٦٦.

(٢) يتفق المؤرخون بأن أواخر القرن الثالث ق.م وبالتحديد عام ٢١٧ ق.م الذى نشبت فيه معركة رفح يعد فى تاريخ البطالمة حدا فاصلا بين عهدين؛ الأول منهما قد بلغت خلاله دولتهم أقصى اتساعها وأوج مجدها، والآخر أخذت فيه عوامل الضعف والاضمحلال تدب إليها، فخلاله فقدت أملاكها فى الخارج وتزعزع سلطانها فى الداخل، وأصبحت تتناوبها الغزوات والثورات إلى أن سقطت :
فاطمة محمد أبو بكر : دراسات فى تاريخ مصر (العصر البطالمى)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٧، ص١٦٠.

فى أطباعهما وأهدافهما، ولذا فقد تعددت وتتابعت الأزمات السياسية والحروب الكثيرة بينهما[١].

وعامة فقد تضافرت معا تلك العوامل السابقة جميعها فى تشكيل طبيعة العلاقات السياسية النبطية اليهودية وصبغها بالروح العدائية عبر الفترة الممتدة من بداية حكم الحارث الثانى إلى نهاية حكم الحارث الثالث، والتى قد تزامنت إلى حد ما مع عصر دولة اليهود المكابيين (١٤١-٦٣ ق.م)، ويمكن إبراز معالم تلك العلاقات عبر هذه الفترة فى الآتى :

أولا : العلاقات السياسية النبطية اليهودية فى عهد الحارث الثانى :

يمثل عهد الملك النبطى الحارث الثانى[٢] بداية للتوترات البالغة فى العلاقات السياسية مع الكيان اليهودى المكابى بأورشليم، وذلك لأطماع المكابيين المتكررة فى أملاك دولة الأنباط والمناطق التى تهدد أمن وسلامة تجارتها.

وقد استهلت تلك الأطماع المكابية بالتوسعات العدوانية التى قام بها "يوحنا هيركانوس" (١٣٤-١٠٤ ق.م) حينما هاجم بلاد الأنباط واستولى فى عام ١١١/١١٢ ق.م على مدينتى "أدورا" و "ماريزا"، وأجبر سكانهما على الاختتان واعتناق اليهودية[٣]، وقد أشار عن ذلك يوسفيوس بقوله : "ثم مضى هركانوس إلى بلد أدوم[٤] التى هى جبال الشراه بلد العيس ففتح بعض حصونها وأخربها وقتل

---

(١) سليم عادل عبد الحق : روما والمشرق الرومانى، دمشق، ١٩٥٩، ص٤٦٧.

(٢) تعددت الآراء حول فترة حكمه، فهناك من يرى بأنه بالفترة "١١٠-٩٦ ق.م"، بينما هناك أيضا من يرى بأنه بالفترة "١٣٩-٩٧ ق.م"، ورأى ثالث يعتقد أصحابه بأنه بالفترة "١٢٠-٩٦ ق.م":
محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص٥٠٨.

(٣) أندريه لومير : تاريخ الشعب العبرى، تعريب : أنطوان إ.الهاشم، دار عويدات، بيروت، ١٩٩٩، ص٨٤.

(٤) المقصود ببلاد أدوم هنا التى أوردها يوسفيوس هى دولة الأنباط؛ لأنها هى التى كانت صاحبة السلطان بعهد المكابيين فى القرن الأول والثانى قبل الميلاد على منطقة شرق الأردن التى تشمل بلاد الأدوميين :
محمد عزة دروزة : المرجع السابق، ص٣٢٩.

جماعة منهم، ولما طلبوا منه الأمان أمنهم ووافقهم على خراج يحملونه إليه وألزمهم أن يختتنوا ويستشرعوا بما فرضته التوراة فقبلوا[1] ذلك وألتزموه"[2].

ومن الأمر الغريب فى هذا الصدد بأن يوسفيوس لم يذكر موقف الحارث الثانى من تلك التوسعات العدوانية لهيركانوس فى الأراضى النبطية، بالرغم من أن دولة الأنباط كانت حينئذ على قدر بالغ من القوة والبأس، بدليل أنها تصدت فيما بعد بقوة لاسكندر جانيوس الذى يعد أقوى الملوك المكابيين، وكذلك قهرت أيضا السلوقيين واستولت منهم على أهم مدنهم دمشق، ولذا فلعل ما يفسر ذلك الموقف السلبى للحارث الثانى أمام توسعات هيركانوس ببلاده، إن هيركانوس كان مدعما حينما قام بهذا العمل بتأييد من الرومان، وذلك يتضح مما أورده يوسفيوس عن وجود اتصالات ودية بين هيركانوس وروما، وأنها قد اعترفت به ملكا[3] لليهود المكابيين بأورشليم، وذلك من خلال إحدى الرسائل التى بعث بها مجلس الشيوخ إليه، والتى أوردها يوسفيوس[4]، وبالرغم من أن روما بتلك الفترة لم يكن لها سلطان على سورية، إلا أن قوتها الهائلة التى ملأت حينئذ أسماع العالم القديم كانت كفيلة بوضع الحارث الثانى فى هذا الموقف.

ومما لا شك فيه أن تلك السياسة العدوانية لهيركانوس قد ألهبت حدة الصراع النبطى اليهودى طوال عصر الحارث الثانى وما بعده، خاصة وأن خلفاء هيركانوس قد واصلوا تلك السياسة العدوانية تجاه الأراضى النبطية؛ فبعد وفاته عام ١٠٤ ق.م لم يفكر خليفته وولده "أرسطو بولوس" (١٠٤-١٠٣ ق.م) فى إصلاح ما أفسده أبوه

---

(١) نتج عن استيلاء هيركانوس على تلك البلاد النبطية وإجباره لأهلها ذو الأصل الأدومى على اعتناقهم اليهودية، أن انخرط الكثيرون منهم فى المشاركة بالحياة السياسية بالدولة المكابية، وذلك مثل "انتيباتر الأدومى" الذى عينه هيركانوس حاكما اقطاعيا تحت إدارته، وكان على جانب كبير من الخداع والمكر، ولم يكن يخطر ببال هيركانوس بأن ولده "هيرودس الأدومى" سوف يستولى فيما بعد على الحكم من عائلة المكابيين :
سمير لطفى : عصر المكابيين، كنيسة القديس الانبا انطونيوس، ١٩٨٠، ص٢٧-٢٨.

(٢) تاريخ يوسيفوس اليهودى، بيروت، ١٨٧٢، ص٩٠.

(٣) كان يوحنا هيركانوس قبل أن يلقبه الرومان بلقب "ملك"، كان يسمى بالكاهن الأعظم، ويتضح ذلك من إحدى العملات التى أمر آنذاك بضربها بأورشليم، وقد نقش عليها عبارة "يوحنا الكائن الأعظم" :
Johnson, P., A History of the Jews, New York, 1987, P.107.

(٤) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص٩١.

من علاقات سياسية مع جيرانه الأنباط، وإعادة ما استولى عليه هيركانوس من مدن نبطية لحوزة الحارث الثاني، ولكنه سعى إلى تدعيم سيطرته عليها، وذلك حينما بعث باخيه انتيغونوس على راس جيش قوى لقمع الثورات التي تاججت بعامه المناطق التي استولى والده عليها من قبل، وكان من بينها المدن النبطية، وعن ذلك يذكر يوسفيوس بقوله : "ومال إلى انيتغونوس أخيه وقومه على جميع أصحابه واعتمد عليه في أموره وبعث به في محاربة الأمم الذين عصوه فقهرهم انتيغونوس وردهم إلى طاعته"(١).

وبالرغم من هذا فلم يشهد زمن الحارث الثاني صداما مسلحا مع اليهود خلال عهد ارسطوبولوس لقصر فترة حكم ذلك الملك المكابي التي لم تتجاوز العام الواحد، ليبدأ بعدها عهد جديد وصل خلاله الصراع النبطي اليهودي إلى أوج مراحله؛ وذلك باعتلاء أخيه "جانيوس" الذي اشتهر باسم "الاسكندر" الحكم خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٠٣-٧٦ ق.م(٢)، ولما عرف عنه من طموحات وآمال عريضة في تكوين دولة واسعة، جند من أجلها جيشا كبيرا أغلبه من المرتزقة القيليقيون والبيزيديون (نسبة إلى بيزيديا Pisidie وهي منطقة بآسيا الصغرى) (٣)، واشتبك عبر السبع والعشرين عاما التي قضاها بالحكم في معارك عديدة وطاحنه تمكن خلالها من توسيع رقعة دولته(٤)، التي غدت في عهده تزيد في الاتساع عما كانت عليه بزمن المجد على أيام أنبياء الله دواد وسليمان عليهما السلام(٥).

وهكذا فمن أجل تلك الآمال التوسعية لاسكندرجانيوس دخل مع الأنباط في مصادمات عنيفة، اقتصرت في عهد الحارث الثاني على السنة الأخيرة من حكمه والمعاصرة لحادثة حصار جيوش جانيوس لمدينة غزة(٦)، والتي تعد من أبرز الأحداث السياسية في دائرة الصراع النبطي اليهودي، إذ لم تقتصر أهمية تلك

---

(١) المرجع السابق، ص٩٧.

(2) Bevan, E.R., "The Jews", CAH, Vol. IX, 1932, P.398.

(٣) أندريه لومير : المرجع السابق، ص٨٦.

(4) Goldin, J., "The Period of the Talmud (135 B.C.E. – 1035 C.E)", The Jews, their history, culture and Religion, Vol. I, New York, 1949, P.119.

(٥) محمد بيومي مهران : بنو إسرائيل ، ص١٠٠١.

(6) Bowersock, G.W., "A Report on Arabia Provincia", JRS, Vol. LXI, 1971, P.223.

المدينة للمكابيين على قيمتها التجارية بقدر اتخاذها وسيلة لتوجيه ضربة مؤثرة إلى تجارة الأنباط التى تمثل أهم المقومات الأساسية فى حياة مجتمعهم، ولا سيما وأن مدينة غزة تتمتع بمكانة خاصة ومتميزة فى تجارتهم الخارجية، فقد كان يجلب إليها الأنباط بضائعهم التجارية القادمة لبلادهم من جنوب[١] وشرق[٢] جزيرة العرب، لتصدر من هناك إلى مصر وسورية وبلاد اليونان، ولذا فقد اهتموا بإنشاء العديد من الطرق التجارية التى تربط مدنهم الرئيسية بغزة وخاصة بعاصمتهم البتراء ، التى احتوت على طريقين رئيسيين، احدهما يتجه نحو غزة، والآخر يسير شمالا متوجها نحو دمشق[٣].

ولهذا هاجم اسكندرجانيوس بقواته مدينة غزة بغرض الاستيلاء عليها، وهى المدينة التى لم تقع قط فى حوزة بنى اسرائيل حتى فى زمن نبى الله سيدنا سليمان (عليه السلام) [٤]، وقام بتشديد حصاره لها مصمما على اقتحامها، وذلك عام ٩٦ ق.م، وقد دام ذلك الحصار نحو عام كامل[٥]، أقفرت خلاله الأراضى الزراعية

---

(١) يحتل البخور قائمة السلع التجارية المصدرة من جنوب جزيرة العرب إلى بلاد الأنباط، وتعد شبوة بمنطقة حضرموت باليمن أشهر مناطق إنتاجه
(Sanger, R.H., The Arabian Peninsula, New York, 1954, P.238)
وكان يشحن من هناك عبر العديد من طرق القوافل التجارية، ويعتبر طريق البخور العظيم من أهم وأشهر تلك الطرق، وقد أشار عنه الكثير من الكتاب الكلاسيك، ومنهم بلينى الذى ذكر بأن محطاته التجارية تصل لنحو ٦٥ محطة، حدد بدايتها بمدينة تمنع اليمنية ونهايتها عند غزة.
(Beek, G.W.V., "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia", JAOS, Vol. 78, N.3, 1958, P.145).

(٢) يعتبر التجار الجرهائيون من أشهر شعوب شرق الجزيرة العربية التى دخلت فى علاقات تجارية مع بلاد الأنباط، وذلك طبقا لما أشار به استرابو من أن الجرهائيين كانوا دائمين التردد على مدينة البتراء عاصمة الأنباط (منذر البكر : "إمارة الجرهاء العربية"، مجلة الخليج العربى، العدد الأول، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٧٣، ص١٣١)، ويأتى البخور على رأس السلع التجارية التى حملها الجرهائيون إلى بلاد الأنباط، وذلك طبقا لما ذكره ديودور الصقلى فى قوله "حمل الجرهائيون والمعينيون البخور وغيره من السلع العطرية إلى بلاد العرب الشمالية" (Diodorus of Sicily, BK. III, P.213).

(3) Tarn, W.W., "Ptolmy II and Arabia", JEA, Vol. XV, 1929. P.11.

(٤) عثمان مصطفى الطباع الغزى : اتحاف الاعزة فى تاريخ غزة، تحقيق : عبد اللطيف زكى أبو هاشم ، المجلد الأول، غزة، ١٩٩٩، ص٩٧.

(5) Bevan, E.R., Op. Cit., P.399.

المحيطة بها، وبدت فى مبانيها وكأنها مدينة خربة[1]، حتى انتهى الأمر بسقوطها فى أيدى جانيوس محققا بذلك حلما كثيرا ما راود أسلافه من المكابيين[2]، وقد أورد هذا يوسفيوس بقوله : "سار اسكندر إلى غزة ففتحها وقتل اهلها"[3].

ومما لاشك فيه أن استيلاء اسكندرجانيوس على غزة قد ألهب كثيرا الصراع السياسى مع الأنباط، الذين باتوا يتحينون الفرصة للانتقام من المكابيين وزعيمهم جانيوس، وقد تنوعت فى هذا الصدد الآراء حول طبيعة موقف الحارث الثانى تجاه تلك الأحداث الخطيرة، لاسيما وأنه قد حدث أثناء الحصار المكابى لغزة أن أهلها استغاثوا بذلك الملك النبطى لمعاونتهم على رفع هذا الحصار عن مدينتهم[4]، وحول ذلك الأمر فهناك رأى يعتقد أصحابه بأن الحارث الثانى قد هب لمساعدة غزة واشتبك مع اسكندر فى معارك طاحنة لم تنته فى عهده واستمرت إلى زمن خليفته عبادة الأول[5]، بينما رأى آخر يعتقد أصحابه بأن الحارث الثانى لم يكن عند حسن ظن أهل غزة به، فلم يساعدهم وخيب آمالهم[6]، غير أن الباحث يعتقد فى هذا المضمار بأن دور الحارث الثانى يتبلور فى إمداده لأهل غزة المستغيثين به بما يكفيهم من قوة للصمود فى وجه الحصار الذى فرضه اسكندرجانيوس حول مدينتهم، حتى ييأس من اقتحامها وينصرف عنها، ويستدل الباحث على ذلك من طول مدة هذا الحصار التى بلغت العام الكامل، وبالطبع فلولا مساعدة الحارث لما استطاعت تلك المدينة الصغيرة الصمود هذه المدة فى وجه جيوش اسكندرجانيوس أقوى الملوك المكابيين على الاطلاق، ولذا فيعتقد الباحث بأن اقتحام اسكندر لتلك المدينة كان

---

(١) عثمان مصطفى الطباع الغزى : المرجع السابق، ص٩٨.

(٢) سبق عصر اسكندرجانيوس محاولات مكابية للسيطرة على غزة، كان من أقدمها طبقا لما ورد بسفر المكابيين الأول، تلك المحاولة التى تعود إلى "يوناثان بن متتيا" أثناء زعامته للمكابيين خلال (١٦٠-١٤٢ ق.م) وذلك فيما نصه : "وانصرف من هناك إلى غزة فأغلق أهل عزة الأبواب فى وجهه فحاصرها وأحرق ضواحيها بالنار ونهبها. فسأل أهل غزة يوناثان الأمان فعاقدهم وأخذ أبناء رؤسائهم رهائن وأرسلهم إلى أورشليم ثم جال فى البلاد إلى دمشق " (مكابيين أول : ١١ ٦١-٦٢).

(٣) تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص١٠٣.

(4) Starcky, J., Op. Cit., P.89.

(٥) نبيه عاقل : المرجع السابق، ص١١٣

(٦) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثالث، ص٢٥.

عقب وفاة الحارث الثانى مباشرة، وذلك خلال المدة التى انشغل فيها الأنبـــاط عـــن مؤازرة تلك المدينة بموت ملكهم الحارث واعتلاء خلبفة له عرش البلاد.

ثانيا : العلاقات السياسية النبطية اليهودية فى عهد عبادة الأول :

مع اعتلاء عبادة الأول لعرش دولة الأنباط خلفا للحارث الثانى بالفترة الممتدة بين عامى "٩٦-٨٧ ق.م"[١]، دخلت العلاقات السياسية النبطية اليهودية فى مرحلـــة أكثر خطورة، اتسمت أغلبها بالمصادمات العسكرية الدامية بين الطرفين، ويرجـــع ذلك فى المقام الأول إلى تلك السياسة العدوانية التى لايزال ينتهجـــها آنـــذاك ملـــك المكابيين اسكندرجانيوس تجاه جيرانه الأنباط؛ فإنه لم يكتف بالاستيلاء علـــى غـــزة وما نجم عن ذلك من أضرار بالغة لحقت بالتجارة النبطية، ولكن امتدت أطماعه هذه إلى أراضى الأنباط نفسها، فاستولى على منطقتى جلعاد ومؤاب[٢].

فكل هذا من شأنه أن جعل عبادة الأول يكرس كل جهده لردع ذلـــك الملـــك اليهودى، واسترداد ما اغتصبه من أراضى نبطية، وأخذ يتحين الفرصـــة المناســـبة التى تمكنه من ذلك، وقد تحقق له ما أراد بإنزاله عـــام ٩٠ ق.م هزيمـــة مروعـــة بأسكندرجانيوس وجيوشه فى معركة طاحنه دارت رحاها على الشاطئ الشرقى مـــن بحر الجليل[٣]، وذلك حينما كان اسكندرجانيوس يهاجم هضبة الجولان، حيث فاجـــأه هناك عبادة بهجوم قوى ومباغت لم يستطع اسكندر الصمود أمامه، فأضطر للفـــرار ناجيا بحياته مع من تبقى من فلول جيشه إلى أورشليم[٤].

وكان لتلك الهزيمة دور بالغ فى إحداث تعديل مؤقت لسياسة اسكندر جانيوس تجاه الأنباط وملكهم عبادة الأول، وذلك لما تمخض عنها من آثار داخلية وخارجيـــة خطيرة كادت تعصف بزعامته فى أورشليم، فقد عززت من قوة المعارضة الداخليـــة ضده، إذا توالت حركات التمرد والمذابح على مدى ست سنوات زهق خلالها نحـــو

---

(١) توفيق برو : تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٨، ص١٠٣.
(٢) اندريه لومير : المرجع السابق، ص٨٧.
(3) Starcky, J., Op. Cit. P.90.
أيضا : Bowersock, G.W., Op. Cit., P.223
(4) Bevan, E.R., Op. Cit., P.400.

خمسين ألفا من معارضيه[١]، المتمثلين فى حزب الفريسيين، الذى يعد أكثر الأحزاب اليهودية [٢]شعبية وتحمسا ضد المكابيين، لدرجة أنهم يعتقدون اعتقادا راسخا بأن الحكم الاجنبى لليهود افضل من حكم المكابيين من وجهه نظرهم[٣]. وقد تطور خطرهم حينما ذهب وفد منهم إلى الملك السلوقى "ديمتريوس الثالث أوكيروس" (٩٥-٨٨ ق.م) يستنجدون به ليساعدهم على التخلص من جانيوس، وبالفعل تقدم هذا الملك السلوقى بجيش ضخم وصل به إلى نابلس[٤].

وهكذا فقد وضعت الأقدار الاسكندرجانيوس بين خصمين قويين فى آن واحد، هما ديمتريوس السلوقى وعبادة الأول ملك الأنباط، فرأى أنه من الخير أن يكسب ود الأنباط، حتى يستطيع مواجهة ديمتريوس السلوقى[٥]، والمحافظة على عرشه، ولذا فقد تنازل لعبادة عن مؤاب وجلعاد[٦]، لينتهى بذلك عصر عبادة الأول عام ٨٧ ق.م وقد استرد ما استولى عليه اسكندرجانيوس من أراضى نبطية، وقد خلفه فى حكم دولة الأنباط ملك يدعى "رب ايل"، كل ما يعرف عنه إلى اليوم بأن فترة حكمه قصيرة لم تتجاوز عاما واحدا فقط[٧].

---

(١) أندريه لومير: المرجع السابق، ص٨٧.

(٢) ظهر فى أورشليم بزمن المكابيين عدة أحزاب دينية متنافرة، لعبت دورا بالغ الأهمية فى تشكيل الحياة السياسية بتلك الفترة، وقد أشار يوسفيوس عن ثلاثة منهم بقوله : "كان اليهود فى ذلك الزمان ثلاث فرق، الواحدة تسمى الفروسمر وهم الفريسيون ويسمون ايضا المعتزلة، والفرقة الثانية يسمون الصدوقيين نسبة إلى رجل فقيه من أصحاب العلماء يسمى صادوق، أما الفرقة الثالثة فيسمون الحسيديم وتأويل هذا الاسم الصالحون لأنهم كانوا يذهبون إلى العمل بما هو أفضل وهو الأخذ من هذين المذهبين ما هو أحوط فى الدين وأسلم فى التوقى وهم المشتغلون بالتسبيح المنعكفون على العبادة" :
تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص٩٣.

(٣) كارين أرمسترونج : القدس مدينة واحدة، ترجمة : فاطمة نصر ومحمد عناتى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢١٣.

(٤) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص٤٦١.

(٥) طبقا لما أشار به يوسفيوس عن المواجهات العسكرية التى حدثت بين ديمتريوس السلوقى واسكندرجانيوس، من أنها قد بدأت بينهما فى معركة دارت عند نابلس انهزم فيها اسكندرجانيوس واضطر إلى الهروب لأورشليم، إلا أنه عاد مرة أخرى بجيش كبير والتقى مع ديمتريوس فى معركة طاحنة انتهت بهزيمة الملك السلوقى وقتله :
تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص١٠٥-١٠٦.

(٦) محمد بيومى مهران : بنو اسرائيل ، ص١٠٠٣.

(٧) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، ص٢٩.

ثالثا : العلاقات السياسية النبطية اليهودية فى عهدالحارث الثالث :

شهد عهد الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م) الذى خلف رب إيل تنوعا واضحا فى العلاقات السياسية مع اليهود، ولعل ذلك راجع لمعاصرة الحارث الثالث لعهود مكابية عديدة ذات سياسات متنوعة؛ أستهلها بالسنوات الأخيرة من حكم اسكندر جانيوس، ثم فترة حكم زوجته "اسكندره" من بعده، وأخيرا فترة النزاع بين "هيركانوس" وأخيه "ارسطو بولس" ولدى الاسكندر[١].

وقد اتسمت تلك العلاقات السياسية للحارث الثالث فى بدايات حكمه بمحاولة استغلال الظروف السياسية السائدة آنذاك على الساحة السورية لتطويق دولة اليهود المكابيين وكبح جماح ملكهم اسكندرجانيوس الذى لاتزال تراوده أحلامه التوسعية بالأراضى النبطية رغم هزيمته أمام عبادة، وقد انتهز فى ذلك الحارث الثالث الموقف المعادى للملك السلوقى "انطيوخوس الثانى عشر" من الأنباط لسيطرة ملكهم عبادة على أراضى الجولان[٢]، والذى من شأنه أن جعل الصدام العسكرى قائما بين الطرفين.

وكان يمكن لاسكندرجانيوس بأن يستغل هذا الصراع النبطى السلوقى لتحقيق ولو قدر ضئيل من اطماعه بشرق الأردن، وذلك بمساومة الحارث الثالث عن مقابل التأييد المكابى خلال هذا الصراع، ولكن يبدو وأن اسكندر لم يوفق فى تقييمه لميزان القوى المتصارعة؛ فى استهانته بقوة الحارث الثالث، ومن الأمر الغريب فى هذا المضمار بأن ذلك الانطباع كان موجودا فى كتابات المؤرخ اليهودى يوسفيوس الذى يبدو واضحا من وصفه لمقدرة الأنباط بقوله : "لم يكونوا على حذق بفنون القتال"[٣]، وبناء على هذا فقد رجح اسكندرجانيوس تغلب انطيوخوس السلوقى واجتياحه لدولة الأنباط، وأن ذلك لو حدث من وجهة نظره من شأنه ان يقضى تماما على أطماعه بالأراضى النبطية، ومن أجل هذا فقد حاول إعاقة تقدم إنطيوخوس وقواته التى وصلت بالفعل من دمشق إلى فلسطين فى طريقها إلى بلاد الأنباط، وذلك بأن أقام فى طريقهم عند كفر سابا ويافا سدا قويا يبلغ طوله نحو ٢٨ كيلومترا، غير أن السلوقيين تمكنوا من إجتياز هذا السد ودمروا منه نحو عشرة أبراج خشبية، وبالطبع

---

(١) Bowersock, G.W., Op. Cit., P.223.

(٢) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ٤٦١.

(٣) جورج مند نهول : المرجع السابق، ص٨٨.

قد أثار هذا غضب انطيوخوس من اسكندرجانيوس، ولكنه رأى تأجيل معاقبته بعد التفرغ من قتاله للأنباط[١]، إلا أنه حدث وأن منيّ هذا الملك السلوقى بهزيمة سلحقة من الحارث الثالث فى معركة "كانا" (بساحل يافا)، سقط خلالها ملك السلوقيين صريعا، وذلك عام ٨٦ ق.م[٢]، وقد وردت أحداث تلك المعركة الهامة فى كتابات يوسفيوس، بقوله : "فى البداية كاد النصر أن يحالف الملك السلوقى انطيوخوس ديونيسوس حيث تقهقر أمامه ملك العرب، غير أن فرسان الجيش العربى البالغين نحو عشرة آلاف فارس صمدوا فى قتالهم لانطيوخوس الذى سقط صريعا بعد أن أوشك على النصر، لاسيما وقد وصلت إليه أثناء المعركة نجدات إضافية، وبمقتله عند قرية "كانا" فر باقى جيشه هائما على وجهه ليهلك الجوع معظمه"[٣]، وكان لهذا الانتصار أثره فى تمكين الحارث الثالث من مد سلطانه إلى دمشق أهم مدن السلوقيين[٤]، والتى دخلها استجابة لدعوة من أهلها إلى ضم مدينتهم إلى دولته خوفا من وقوعها تحت سيطرة اليطوريين[٥]، المتحفزين لذلك[٦]، ومن أجل هذا لقبه أهلها

---

(١) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص٤٦١.

(2) Peters, F.E., "The Nabateans in the Hawran", JAOS, Vol. 97, N.3, July – September, 1977, P.266.

(3) Joesphus, Jewish Antiquities, Translated by Marcus, R., Vol. VII, BK. XIII, 3 rd., London, 1961, P.423.

(4) Crichton, A., History of Arabia, Ancient and Modren, Vol. I, Edinburgh, 1833, P.145.

(٥) اليطوريون : أقوام عرب شديد المراس كانت تسكن لبنان الشرقية والمناطق المحيطة بالحوض الأعلى من نهر الأردن، وكانوا يعتمدون فى حياتهم قبل مجئ الاسكندر الأكبر على قطع الطرق، مما جعله يضطر إلى رفع حصاره عن ميناء صور، ويتوجه نحوهم بحملة تأديبية، وبعد هذه الحادثة اختفوا تماما من على مسرح التاريخ حتى حوالى عام ١١٥ ق.م، وذلك حينما حصلوا على اعتراف من السلوقيين بقيام إمارة مستقلة بهم، وكان لتلك الأمارة اليطورية عاصمة دينية وأخرى دنيوية؛ الأولى هى "بعلبك" والثانية هى "جرا" والتى قد أطلق عليها اليونانيون اسم "خلقيس"، ومن أشهر أمراء اليطوريين "بطليموس بن معن" الذى حاول الاستيلاء على دمشق، إلا أن أهلها وضعوا أنفسهم تحت حماية الحارث الثالث : أ.هـ.م. جونز : مدن الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة : إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ١٩٨٧، ص ٥٧-٥٨.

(6) Peters, F.E., Op. Cit., P.266.

بلقب "فيلهلين Philhellene" (أى محب اليونان) [١]، وكان ذلك حوالى عام ٨٥ ق.م، وسك هناك العملة بأسمه[٢].

ومما لاشك فيه بأنه كان لذلك التوسع النبطى الذى امتد إلى دمشق أثره الكبير والفعال فى ترجيح كفة الأنباط خلال صراعهم مع اليهود المكابيين؛ خاصة وأن ذلك قد جعل دولة المكابيين وكأنها بين مخالب نبطية تحيط بها من الشرق والجنوب[٣]، فضلا عن هذا فإن ذلك التوسع النبطى قد زاد كثيرا من انتعاش حركة التجارة النبطية التى تعد آنذاك بمثابة العمود الفقرى لتلك الدولة، لما نتج عن هذا من سيطرة تامة للأنباط على الطريق التجارى المتجه شمالا من البتراء إلى دمشق، كذلك أيضا هيمنوا على حركة الاتصالات التجارية التى كانت تتم بين دمشق ومناطق الخليج العربى عبر تدمر[٤]، وبالطبع فإن كل ذلك من شأنه أن أدى لتدفق الأموال إلى أيدى الأنباط وملكهم الحارث الثالث الذى حرص كثيرا على بناء جيش قوى يمكنه من الوقوف فى وجه أعدائه وبخاصة المكابيين وملكهم اسكندرجانيوس، ولاسيما وأنه قد أنضم لهذا الجيش النبطى أعداد غفيرة من رجال الحرب اليونان القاطنى مدينة دمشق، والذين قد استفاد بخبراتهم كثيرا هذا الملك النبطى فى تنظيم قواته وتحويلهم إلى جيش نظامى مدرب، بعد أن كان من قبل يعتمد على رجال من الأعراب يخوضون المعارك بروح البداوة التى تأبى الخضوع للأوامر والنظم العسكرية وتهتم أول ما تهتم بالغنائم والأسلاب[٥].

بالرغم من ذلك الاستقرار السياسى والعسكرى الذى كانت تنعم به الدولة النبطية فى ظل حكم الحارث الثالث، كان خصمه اللدود بالجبة المعادية اسكندر جانيوس يعانى آنذاك الكثير من الاضطرابات والمشاكل الداخلية المتمثلة فى ثورات الفريسيين المستمرة ضده، وقد انتهز الحارث تلك الظروف وتوجه بقواته تلقاء الأراضى اليهودية، واشتبك مع قوات جانيوس فى معركة ضارية عند مكان

---

(١) Bowersock, G.W., Op. Cit., P. 223.

(٢) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، الانجلو، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٦٣.

(٣) نبيه عاقل : المرجع السابق، ص١١٥.

(٤) عبد الله الحلو : المرجع السابق، ص٣١١.

(٥) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، ص٥١٠

يدعى "أديدا"[١] (حاليا الحديثة قرب اللد)[٢]، وذلك عام ٨٣ ق.م، وتعد تلك المعركة أضخم صدام مسلح شهده عصر اسكندر جانيوس عبر تاريخ صراعه مع الأنباط[٣]، وقد انتهت بانتصار الحارث الثالث، وإجبار جانيوس على قبول معاهدة الصلح التى بمقتضاها انتزعت منه بلاد "غمالا" و "هيبوس" (خربة العاشق القريبة من طبريا) و "فيولتيرا" و "سلوقية" (الواقعة جنوبى بحيرة الحولة)، والتى كان يسكنها عناصر عربية تمت إلى الأنباط بصلات العرق[٤].

ولكن يبدو وأن معركة أديدا رغم ضراوتها لم تكن بالرادعة تماما لكبح جماح أطماع اسكندر جانيوس فى الأراضى النبطية؛ إذ لم يمض على زمنها نحو الثلاثة أعوام حتى قام هذا الملك اليهودى بمهاجمة بلاد الأنباط، والاستيلاء على موآب وجلعاد مرة أخرى[٥]، ولتأمين سيطرته على تلك المناطق كى لايستردها الأنباط، شيد بهما قبيل وفاته قلعتين عظيمتين؛ الأولى قلعة "اسكندريون" بأرض جلعاد، والأخرى قلعة "ماكايروس"[٦] بموآب، ثم توفى هذا الملك بعد ذلك عام ٧٦ ق.م أثناء حصاره لقلعة "رجبا" بأرض "جيرازا" (جرش) [٧].

وقد إعتلت من بعده الحكم زوجته "سالومى ألكسندرا" (٧٦-٦٧ ق.م) (الذى تزوجته بعد أخيه ارسطوبولوس) [٨]، وقد شهد عهدها تحسنا واضحا فى العلاقات السياسية مع دولة الأنباط وملكها الحارث الثالث، بعد أن كانت فيما قبل علاقات عدائية تسودها المصادمات العسكرية الدامية، ولعل هذا التحول الكبير يرجع فى

---

(1) Starcky, J., Op. Cit., P. 91.
أيضا : Bevan, E.R., Op. Cit., P.400.

(٢) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثالث، ص٣١.

(3) Peters, F.E., Op. Cit., P.266.

(٤) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص٤٦٢

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) أقيمت تلك القلعة فى "مأدبا" (احدى مدن موآب)، وقد وصفها بلينى بأنها من أهم القلاع وأقواها، ويقال بأن "يوحنا المعمدانى" أعدم فيها بناء عن أوامر هيرودس، وقد قام "الغيورون" (طائفة متطرفة من الفريسيين) بالاستيلاء عليها أثناء التمرد اليهودى الأول ضد الرومان (٦٦-٧٠م)، وظلوا مقيمين فيها حتى بعد سقوط أورشليم، وقد قاوم المحاصرون بعض الوقت إلا أن الرومان نجحوا فى الاستيلاء عليها بعد ذلك (عبد الوهاب المسيرى : المرجع السابق، ص٢٢٩).

(٧) اندريه لومبر : المرجع السابق، ص٨٨.

(٨) محمد بيومى مهران : بنو إسرائيل، ص١٠٠٤.

المقام الأول إلى ما تعرضت إليه الساحة السورية من تطورات سياسية خطيرة، تمثلت فى الغزو الأرمينى لهذه المنطقة بزعامة "تيغران أو ديكران"، ذلك الملك الطموح الذى بلغت فى عهده المملكة الأرمينية ذروة قوتها، وقد اندفع هذا الملك وراء أطماعه بسورية، مكتسحا فى عام ٨٣ ق.م سورية الشمالية وكيليكية (التى كانت تحت حكم السلوقيين) [١]، وأخذ بعد ذلك يعد العدة للسيطرة على كل باقى سورية.

وأمام هذا الخطر الداهم الذى بات يهدد الكيان السياسى لليهود والأنباط على السواء، كان من الطبيعى أن ينبذ الطرفان الخلافات والصراعات الدائرة بينهما، ويوحدا جهودهما لمواجهة هذا التهديد الأرمينى، فأرسلت من أجل ذلك الكسندرا عام ٧٥ ق.م إلى الحارث الثالث ملك الأنباط تعرض عليه الصلح والتحالف فى ظل الدفاع المشترك عند تعرض أية طرف منهما للخطر الأرمينى، وبالطبع رحب الحارث كثيرا بذلك لأنه هو الآخر يخشى على مملكته من هذا الخطر، وقد تزايدت مع عام ٧٠ ق.م تلك المخاوف اليهودية النبطية، وذلك حينما تقدم تيغران نحو جنوب سورية بجيش جرار قوامه (٣٠٠ ألف مقاتل) بغرض السيطرة عليها، وبالفعل وصل إلى عكا (آخر معاقل السلوقيين بسورية) واستولى عليها، وأصبح على مقربة من أورشليم فارتعدت الكسندرا وأسرعت بإرسال سفراء إليه يحملون الهدايا الكثيرة[٢]، أما الحارث فسارع آنذاك بسحب قواته من دمشق[٣]، ليدافع بها عن بلاده إذا هاجمه الأرمن، وفى ظل هذا الرعب الذى انتاب اليهود والأنباط تدخلت روما فجأة معلنة الحرب على تيغران، لحدوث توتر بالغ فى العلاقات السياسية القائمة بينهما[٤]، مما جعله يضطر لسحب قواته من سورية نهائيا

---

(١) فيليب حتى : المرجع السابق، ص ٢٧١.

(٢) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص ٤٦٥.

(3) Peters, F.E., Op. Cit., P.266.

(٤) يرجع السبب فى إعلان روما الحرب على تيغران بعد توتر العلاقات السياسية بينهما، هو رفضه تسليم روما لحليفه "متردانس" ملك البونت (تقع مملكة البونت على الساحل الجنوبى الشرقى للبحر الأسود شمالى أرمينية) الذى فر إلى بلاده بعد أن هزمته الجيوش الرومانية . فيليب حتى : المرجع السابق، ص٢٧١-٢٧٣.

عام ٦٩ ق.م[١]، وذلك بعد أن قام الرومان بمهاجمة عاصمته مدينة "تيغرانوسيرت" وأستولوا عليها[٢].

وقد دخلت العلاقات اليهودية النبطية بعد زوال الخطر الأرمينى مرحلة جديدة ومتميزة، إرتبطت إلى حد كبير بذلك التدهور السياسى البالغ الذى شهدته أورشليم عقب موت الكسندرا عام ٦٧ ق.م، وما تبعه من صراع مرير على الحكم بين ولديها "هيركانوس" ومؤيديه من الفريسيين و "ارسطو بولس" ومؤيديه من الصدوقيين[٣]، وبالطبع كان الحارث الثالث يراقب ذلك عن قرب متحينا للفرصة التى تمكنه من استثمار هذا الصراع على أمل أن يحقق حلمه وحلم أسلافه بالاطاحة بتلك الدولة العبرية المناوئة لهم، أو على أقل تقدير استرداد ما سلبه اسكندرجانيوس من أراضى نبطية.

وبدأت تلك الاضطرابات التى طرح عليها الحارث الكثير من آماله، باعتلاء الأخ الأكبر هيركانوس للحكم، وكان ضعيفا غير حازم[٤]، مما مكن أخاه ارسطوبولس من خلعه وحل محله، وذلك بعد حرب أهلية انتصر فيها ارسطوبولس، وقد إتخذ الصدوقيون من نجاح ارسطوبولس فرصة للانتقام من الفريسيين، ولكن تغييرا كبيرا كان على وشك الحدوث أدى لتعقد الموقف، يتمثل فى ظهور أشخاص آخرين على مسرح الأحداث، يأتى على رأسهم رجل يدعى انتيباتر[٥]، يعود فى أصوله للأدوميين، وكان من أكثر اتباع هيركانوس المقربين[٦]، وقد ملأه الحقد من اعتلاء ارسطوبولس للعرش، بجانب هذا فكان يخشى على حياته من كراهية هذا الملك القوى له، فسعى جاهدا لإيجاد ما يسانده من أجل الإطاحة بحكمه، فبدأ من

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٧٣.

(2) Starcky, J. Op. Cit., P.91.

(٣) محمد بيومى مهران : "دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة"، مجلة كلية اللغة العربية، العدد السادس، الرياض، ١٩٨٦، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٤) أورد يوسفيوس فى كتاباته وصفا لشخصية هيركانوس منكرا على مثله اعتلاء العرش، وذلك فى قوله : " كان الأخ الأكبر هيركانوس يفتقر فى طبيعته لشخصية الحاكم، فكان يفضل دائما الحياة العادية الهادئة، بينما أخوه الأصغر ارسطو بولس كان على النقيض من ذلك، فهو رجل للمهام الصعبة وصاحب لهمة عالية" :

Josephus, Jewish Antiquities, BK. XIII, P.433.

(٥) سمير لطفى : المرجع السابق ، ص٣٠.

(6) Johnson, P., Op. Cit., P.109.

خلال إتصالاته السرية بإثارة اليهود ضده على أنه مغتصب للعرش من أخيه الأكبر، كذلك نجح فى إقناع هيركانوس المعزول بأن أخاه يتآمر على حياته[١]، فضلا عن ذلك فأخذ يبحث عن قوة خارجية تمكنه من تحقيق هدفه، فلم يجد آنذاك على الساحة السورية سوى دولة الأنباط، فروما لم تكن قد حلت بعد بتلك المنطقة، فى الوقت نفسه قد غابت تماما شمس السلوقيين، إضافة إلى ذلك فهناك علاقات طيبة وخاصة تجمعه بالأنباط؛ فهو متزوج من فتاة نبطية تدعى "كيبروس Cypros"[٢]، كانت إبنه لأمير نبطى، ومنها قد أنجب ولده هيرودس[٣]، كذلك أيضا فهناك صداقة قوية جمعت بين انتيباتر والعاهل النبطى الحارث الثالث نفسه[٤].

وسنحت بذلك الفرصة للحارث الثالث المترقب من أجل تحقيق أهدافه المنشودة، وذلك حينما توجه إليه انتيباتر بمفرده سرا مستنجدا به، وقد أبدى له الحارث موافقته على استضافته مع هيركانوس وحمايتهما، وبعد أن عاد انتيباتر لأورشليم اصطحب معه هيركانوس هربا إلى البتراء ليلا[٥]، وهناك رحب بهما الحارث، وتعهد بتأييده الكامل لهيركانوس وتقديم كل ما يملك من قوة من أجل عودته للحكم مرة أخرى، فى المقابل لذلك تعهد هيركانوس للحارث بأن يرد إليه آنذاك جميع ما استولى عليه والده اسكندرجانيوس من بلاد نبطية[٦].

وبالفعل خرج الحارث الثالث ومعه هيركانوس وانتيباتر فى عام ٦٦-٦٥ ق.م[٧]، على رأس جيش قوامه خمسون ألف مقاتل[٨]، تمكن خلاله من التغلب على ارسطوبولس الذى فر هاربا إلى أورشليم[٩] بعد أن تخلى عنه الكثير من رجاله

---

(1) Josephus, Jewish Antiquities, BK. XIV, P.455.
(2) Bevan, E.R., Op. Cit., P.402.
(3) Starcky, J., Op., Cit., P.92.
(4) Wright, T., Early Christianity in Arabia, London, P.70.
(5) Josephus, Jewish Antiquities, BK. XIV, P.457.
(٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق، ص٣٣٧.
(٧) جواد على : المفضل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثالث، ص٣٢.
(8) Crichon, A., Op. Cit., P.145.
Peters, F.E., Op., Cit., P.267. أيضا .
(٩) سمير لطفى : المرجع السابق، ص٣٠.

وانضموا الى جانب أخيه هيركانوس[١]، وتعقبه الحارث ومعه هيركانوس بمن انضموا فى صفه، وتوجهوا جميعا نحو أورشليم وأحكموا الحصار حولها[٢]، وبدا أهلها فى حاله يرثى لها، لاسيما وأنهم انقسموا على أنفسهم أثناء هذا الحصار؛ فهناك من كان مناصرا لارسطوبولس وخاصة طائفة الكهنة[٣]، فى الوقت نفسه هناك أيضا من هو مؤيد لهيركانوس، إضافة لهذا فكان يوجد كذلك فريق ثالث من بين هؤلاء المحاصرين يسعى جاهدا إلى الفرار بحياته من تلك المدينة إلى مصر[٤].

وباتت بهذا أورشليم قاب قوسين أو أدنى من السقوط فى أيدى الحارث الثالث وحلفائه، لولا حدوث تطور سياسى خطير على الساحة السورية غير من ميزان القوى هناك، يتمثل ذلك فى قدوم طلائع الجيوش الرومانية الغازية إلى دمشق واستيلائهم عليها، بقيادة القائدين "غابينيوس" و "سكوروس"، تمهيدا لمجئ "بومبى" إليها من أنطاكية[٥]، التى قد استولى عليها عام ٦٤ ق.م، وخلع آخر ملوك السلوقيين[٦]، معلنا نهاية حكم الدولة السلوقية بسورية.

وبالطبع فلايمكن للرومان بأية حال تجاهل حصار الأنباط لأورشليم، فمما لاشك فيه أن التفوق العسكرى النبطى أمر قد يعوق الأطماع الرومانية بتلك المنطقة الحيوية، ولذا فمنذ الوهلة الأولى من الوجود الرومانى بدمشق أسرع

---

(١)محمد عزة دروزة : المرجع السابق، ص٣٣٧.

(٢) حلمى محروس اسماعيل : الشرق العربى القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧، ص٢٥٩.

(٣) لعل السبب فى عداء الكهنة بصفة خاصة لهيركانوس، وتفانيهم فى تأييد أخيه أرسطوبولس يرتبط بقصة أوردها يوسفيوس بقوله : "ومما جرى فى تلك المدة أن عيد الفطير حضر، وطلع الكهنة (المحاصرون مع ارسطوبولس) الى الحصن، وقالوا لليهود الذين مع هيركانوس، أنتم تعلمون ما أوجبه الله عز وجل من الفرائض والذبائح، وليس عندنا من البقر والغنم ما نقربه ... فأعطونا من البقر والغنم ما نؤدى به الفرض، فقالوا ما نفعل ذلك إلا إذا أعطيتم لنا لكل رأس ألف دينار، فرضى أرسطوبولس والكهنة وعاهدوهم على ذلك، فجمعوا المال وأنزلوه إليهم من الحصن، فلما صار إليهم المال غدروهم وأخذوا المال ولم يعطوهم شيئا، فعظم ذلك على الكهنة :

تاريخ يوسفيوس اليهودى، ص ١١٦-١١٧.

(4) Josephus, Jewish Antiquities, BK. XIV, P.459.

(٥) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص٤٦٨.

(٦) كارين أرمسترونج : المرجع السابق، ص٢١٥.

سكوروس بنفسه متوجها نحو أورشليم[١]، وإلتقي فى طريقه بمبعوثى أرسطوبولس وهيركانوس، اللذين قدما يلهثان إليه سعيا من أجل كسب تأييد الرومان، وكعادة اليهود حاول كل منهما شراء هذا القائد الرومانى؛ فحمل إليه مبعوث أرسطوبولس بهدية شخصية تقدر بنحو "أربعمائه تالان"، بينما لم يقدم مبعوث هيركانوس غير وعد بهدية تفوق ما قدمه ارسطوبولس، ولذا فقد مال القائد الرومانى إلى ارسطوبولس لسخائه معه[٢]، فى الوقت نفسه فإن ذلك القائد كان لايؤيد التحالف القائم بين هيركانوس والحارث الثالث فى حصارهما لأورشليم الغير مقبول من روما، وعلى هذا فقد بعث هذا القائد بتهديد شديد اللهجة إلى الحارث يطالبه فيه بسرعة رفع الحصار عن أورشليم، وأن يرحل إلى دياره فى الحال، وإلا سيعلن الرومان عليه الحرب[٣]، فارتعد الحارث من هذا التهديد، وعجل برفع حصاره عن تلك المدينة[٤]، مسرعا فى الانسحاب إلى بلاده ومعه هيركانوس وانتيباتر[٥]، وقد تزامن ذلك مع عودة سكورس إلى دمشق، بعد أن مكن أرسطوبولس من تجهيز جيش جرار[٦]،هزم قوات الأنباط المنسحبة[٧]، بعد أن تعقبها إلى أن وصلت إلى "ربة عمون" (عمان الحالية)، وهناك عند موضع يسمى "بلبيرون Ppayron" دارت معركة حامية بين الجانبين، انتصر فيها أرسطو بولس، وقتل نحو ستة آلاف من أتباع الحارث[٨]، كان من بينهم "فاليون" شقيق انيتباتر[٩].

---

(١) سليم عادل عبد الحق: المرجع السابق، ص٤٧٠.

(2) Josehus, Jewish Antiquities, BK. XIV, P.463.

(3) Bevan, E.R., Op., Cit., P.402.

Starcky, J. Op. Cit., P.92. أيضا :

(4) Wright, T., Op. Cit., P.71.

(٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق، ص٣٣٧.

(٦) سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص٤٧١.

(7) Starcky, J. Op. Cit., P.92.

(٨) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، ص ٥١١-٥١٢.

(9) Josephus, Jewish Antiquities, BK. XIV, P.465.

وتعد معركة بابيرون خاتمة للصراع المسلح الذى شهده عصر الحارث الثالث بين اليهود المكابيين والأنباط، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أن الدولة المكابية نفسها لم يمض عليها بعد تلك المعركة زمن طويل حتى وقعت تحت الحكم الرومانى[١]، على أثر استيلاء بومبى عام ٦٣ ق.م على أورشليم بعد حصار لها دام نحو ثلاثة شهور[٢]، تمكن خلاله من أسر أرسطوبولس وإرساله لروما مكبلا فى أغلاله[٣]، وتعيين أخيه هيركانوس كاهنا أعظم، وسيدا لقومه يتبع للحكم الرومانى[٤]، غير أن هيركانوس قد سلم انتيباتر[٥] زمام الأمور[٦]، وهذا يعد فضلا عما سبق فى حد ذاته من عوامل تحسن العلاقات بين اليهود والانباط، وذلك نظرا لتلك الصداقة القديمة التى كانت تجمع بين هذا الأدومى والحارث الثالث؛ ومن المظاهر الدالة على تلك العلاقات الطيبة التى ربطت آنذاك بين الطرفين، أنه أثناء التوتر السياسى الذى نشب عام ٦٢ ق.م بين الأنباط والرومان[٧]، على أثر تحرشات

---

(١) جدير بالذكر فى هذا المضمار بأن بعض الطوائف اليهودية الكبرى كالفريسيين كانت تفضل الحكم الرومانى عن الحكم الملكى اليهودى؛ حيث إنهم كانوا يعتقدون أن الملكية تتنافى مع التقاليد اليهودية التى تنص على اطاعة الكهنة فقط، ولذا فقد ذهب وفد منهم إلى بومبى (قبل استيلائه على أورشليم) يطلبون منه أن يخلصهم من حكم الأخوين هيركانوس وأرسطوبولس، وأن يجعل السلطة السياسية بأورشليم فى أيدى الرومان :

سليم عادل عبد الحق : المرجع السابق، ص٤٧١.

أيضا : كارين أرمسترونج : المرجع السابق، ص٢١٥.

(٢) عارف العارف : تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٥١، ص٢٨.

(3) Bevan, E.R., Op., Cit., P.403.

(٤) لعل السبب فى اختيار بومبى لهيركانوس حاكما يهوديا موال لروما دون أخيه ارسطوبولس، بالرغم من أن أرسطوبولس حاول شراء بومبى مثلما فعل من قبل مع سكوروس، بأن بعث إليه كما يذكر يوسفيوس بهدية ثمينة عبارة عن كرمة عنب ذهبية (Josephus, Jewish Antiquities, BK. XIV, P.465)، إلى أن بومبى قد أدرك بفطنته السياسية الثاقبه حينما قابل الأخوين بأن طبيعة شخصية هيركانوس المسالمة تجعله أكثر رضوخا لروما من أخيه القوى الطموح (Goldin, J., Op. Cit., P.122).

(٥) لم يكتف انتيباتر بفرض سطوته على هيركانوس، بل قام أيضا بتنصيب أبنائه فى الوظائف البالغة الأهمية، ليدعم من خلالهم سيطرته على زمام الأمور، فعين ابنه البكر "فصائيل" مسئولا عسكريا لأورشليم، وأبنه الثانى "هيرودس" مسئولا عسكريا فى الجليل :

Bevan, E.R., Op. Cit., P.404.

(٦) محمد بيومى مهران : بنو اسرائيل، ص١٠٠٩

(٧) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، ص٥١٢.

الرومان بالحارث الثالث وبلاده[١]، لعب انتيباتر دور الوسيط فى إنهاء هذا التوتر والصلح بينهما؛ حيث نجح فى إقناع صديقه الحارث الثالث فى أن يشترى سلامة بلاده بمبلغ من المال يدفعه للرومان[٢]، الذين رحبوا بذلك حتى أن بومبى نفسه استحسن هذا الأمر واعتبره خضوعا من الأنباط، ولهذا فقد أمر بوضع صورة الحارث الثالث فى موكب نصره[٣]، كذلك أيضا أمر بضرب نقد يخلد به ذلك الاستسلام النبطى المزعوم، ظهر عليه الحارث الثالث وهو منكس للرأس وبجواره جمل، وفى يده غصن الزيتون[٤].

ويختتم بذلك عصر الحارث الثالث بوفاته عام ٦٢ ق.م بعد سلسلة من الأحداث العامرة بالعلاقات السياسية الهامة والمتنوعة مع الكيان اليهودى بأورشليم، والتى أثرت بشكل واضح على تاريخ تلك المنطقة.

---

(١) من أبرز مظاهر التحرشات الرومانية على بلاد الأنباط فى عصر الحارث الثالث، تلك الحملة التى بعث بها بومبى عام ٦٢ ق.م بقيادة سكوروس للاستيلاء على البتراء، ولم تستطع القوات الرومانية اقتحام تلك المدينة المنيعة، فحاول قائدها أن يجبر أهلها على الاستسلام، فقام بتخريب الأراضى الزراعية المحيطة بها، إلا أن هذا الفعل كان له أثره السلبى الخطير على قواته التى أخذت تعانى من قلة المؤونة، رغم كميات الامدادات الضخمة التى وصلته من هيركانوس، وفى النهاية انسحب بقواته بعد أن عقد الصلح مع الأنباط :
Josephus, Jewis Antiquities, BK. XIV, P.489.

(2) Ibid, P.489.

(٣) حلمى محروس اسماعيل : المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(4) Bowersock, G.W., Op. Cit., P.223.

نتائج دراسة علاقات الأنباط السياسية
مع الكيان اليهودى بأورشليم

يتضح من خلال دراسة ذلك الصراع عبر تلك الفترة الزمنية المذكورة والممتدة بين عامى ١٣٩-٦٢ ق.م عدة نتائج هامة لعل من أبرزها ما يأتى :

١. يشكل التواجد اليهودى بأورشليم خلال العصر المكابى مجرد كيان دينى أكثر منه كيان سياسى؛ ولعل خير ما يؤكد ذلك تلك المعارضة الجارفة من اليهود أنفسهم لظهور الدولة المكابية كسلطة سياسية يهودية تحكمهم، وخاصة وأن تلك المعارضة قد حمل لواءها طائفة الفريسيين كبرى الطوائف الدينية اليهودية ذات الشعبية العارمة، والتى ينادى أصحابها بالإطاحة بحكم اليهود الملكى المنافى لتقاليدهم وأعرافهم الدينية، التى تنطوى تحت شعار التضحية بالقوة السياسية من أجل المجد الروحى، وأن الكهنة فقط هم الذين يخضع لسلطانهم المجتمع بمختلف فئاته، ومما لاشك فيه أن أثر ذلك قد ظهر سلبيا على الدولة المكابية خلال صراعها الطويل ضد الأنباط، حيث أفقدها القاعدة الشعبية التى تستند عليها قوتها العسكرية، فعجز ملوكها عن تجنيد جيش وطنى، واضطروا إلى الاعتماد على المرتزقة، والأخطر من هذا أنه أثناء ذلك الصراع قامت وفود يهودية بمحاولتين متتاليتين للاستعانة بديمتريوس الثالث السلوقى وبومبى الرومانى لحكم أورشليم والإطاحة بدولة المكابيين، فكل ذلك يؤكد بأن اليهود آنذاك ليسوا أكثر من مجرد طائفة دينية تفتقر للطموحات السياسية التى تؤهلها للاستمرار فى حكم أورشليم.

٢. حافظ الأنباط على سلامة سورية من الأطماع اليهودية، حيث سعى اليهود المكابيون وخاصة فى عهد ملكهم جانيوس للسيطرة على تلك المنطقة مستغلين فى ذلك مدى الضعف الكبير الذى كانت تئن منه الدولة السلوقية صاحبة السلطان هناك، إلا أن ملوك الأنباط بداية من الحارث الثانى ومن بعده عبادة الأول والحارث الثالث وقفوا بجيوشهم بالمرصاد أمام هؤلاء المكابيين، ونجحوا فى أن يحولوا بينهم وبين مطامعهم السياسية بتلك المنطقة.

٣. اليهود شعب يفضل العنف ولايميل إلى السلام مع جيرانه، ويؤمن بأن القوة هى الوسيلة لتحقيق أهدافه؛ فكثيرا ما كانوا يغيرون على أملاك جيرانهم الأنباط، ويحاولون تهديد مصالحهم التجارية التى تعد عصب حياة الدولة النبطية، ولولا قوة الأنباط الفتية التى ردعت وبحزم بالغ هؤلاء الأقوام لتكررت بالأمس معاناة اليوم.

٤. تضاؤل الدور السياسى لعرب أورشليم خلال العصر المكابى، ولعل ذلك راجع إلى وقوعهم تحت سيطرة دولة المكابيين التى أضعفت كثيرا من شوكتهم.

الاختصارات

ABBREVIATIONS

BA = The Biblical Archaeologist, The American Schools of Oriental Research, New Haven.

CAH = The Cambridge Ancient History, (Edited by Cook, S.A. and others), Cambridge University press.

JAOS = Journal of the American Oriental Society, New Haven.

JEA = The Journal of Egyptian Archaeology, The Egypt Exploration Society, London.

JRS = The Journal of Roman Studies, The Society for the promotion of Roman Studies, London.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : العربيـــة :

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس، الاسفار القانونية التى حذفها البروتستانت، مطرانية بنى سويف.

ابراهيم نصحـــى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

السيد محمد عاشور : اليهود فى عصر المسيح، القاهرة، ١٩٩٢م.

توفيـــــق برو : تاريخ العرب القديم، دمشق، ١٩٨٨م.

جرجى زيـــــدان : العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٩م.

جـــــواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الأول، الطبعـــة الثانية، دار العلم، بيروت، ١٩٧٦م.

جـــــواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثالث، مكتبـــة النهضة، بغداد، ١٩٨٠م.

حســـــن ظاظا : القدس مدينة الله أم مدينة داود، الاسكندرية، ١٩٧٠م.

حلمى محروس اسماعيل : الشرق العربى القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧م.

سليم عادل عبد الحق : روما والمشرق الرومانى، دمشق، ١٩٥٩م.

سمـــــير لطفى : عصر المكابيين، كنيسة القديس الأنبا انطونيوس، ١٩٨٠م.

عـــارف العارف : تاريخ القدس، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٥١م.

عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمـــة، الانجلـــو، القاهرة، ١٩٨٨م.

عبد الله الحلـــو : صراع الممالك فى التاريخ السورى القديم، بيروت، ١٩٩٩م.

عبد الوهاب المسيرى : موسوعة : اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

عبد المنعم عبد الحليم سيد : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

عثمان مصطفى الطباع الغزى : إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة، تحقيق ودراسة : عبد اللطيف زكى أبو هاشم، المجلد الأول، غزة، ١٩٩٩م.

فادية محمد أبو بكر : دراسات فى تاريخ مصر (العصر البطلمى)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٧م.

محمد بيومى مهران : "دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة"، مجلة كلية اللغة العربية، العدد السادس، الرياض، ١٩٨٦م.

محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

محمد بيومى مهران : بنو اسرائيل، الجزء الثانى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

محمد بيومى مهران : المدن الكبرى فى مصر والشرق الادنى القديم، الجزء الثانى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

محمد خليفة حسن أحمد : رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، القاهرة، ١٩٩٥م.

محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٩م.

نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٩٨٣م.

هابيل فهمى عبد الملك : "أورشليم (القدس) منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الرومانى"، الندوة الدولية " القدس : التاريخ والمستقبل (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦)"، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط.

ثانيا :المترجمة :

- أ.هـ.م.جونز : مدن الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة : احسان عباس، دار الشروق، عمان، ١٩٨٧م.
- أندريه لومير : تاريخ الشعب العبرى، تعريب : أنطوان إ.الهاشم، دار عويدات ، بيروت، ١٩٩٩م.
- تاريخ يوسفيوس اليهودى : بيروت، ١٨٧٢م.
- جورج مندنهول : "القدس من ١٠٠٠-٦٣ ق.م" ، ترجمة : كامل جميل العسلى، القدس فى التاريخ، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٢م.
- فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة : جورج حداد وعبد المنعم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م.
- كارين أرمسترونج : القدس مدينة واحدة، ترجمة : فاطمة نصر ومحمد عنانى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

ثالثا :الأجنبية :

- **Beek, G.W.V., "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia", JAOS, Vol. 78, N.3, 1958.**
- **Bevan, E.R., "The Jews", CAH, Vol. IX, 1932.**
- **Bickerman,E.J., "The Historical Foundations of postbiblical Judaism", The Jews, their history, culture and Religion, Vol. I, New York, 1949.**

- Bidwell, R., The Two Yemens, Westview press, 1983.
- Bowersock, G.W., "A report on Arabia Provincia", JRS, Vol. LXI, 1971.
- Crichton,A., History of Arabia, Ancient and Modern, Vol. I, Edinburgh, 1833.
- Diodorus of Sicily, Translated by Geer, R.M., Vol. X, BK. XIX, London.
- Goldin, J., "The Period of the Talmud (135 B.C.E. – 1035 C.E.)", The Jews, their history, culture and Religion, Vol. 1, New York, 1949.
- Johnson, P., A History of the Jews, New York, 1987.
- Josephus, Jewish Antiquities, Translated by Marcus, R., Vol. VLL, 3rd. London, 1961,
- Lewis, B., The Arabs in History, 5th. ed, London, 1968.
- Peters, F.E., "The Nabateans in the Hawran", JAOS, Vol. 97, N.3, July – September, 1977.
- Sanger, R.H., The Arabian Peninsula, New York, 1954.
- Starcky, J., "The Nabataeans : A Historical sketch", BA, Vol. XVIII, N.4, December, 1955.
- Tarn, W.W, "Ptolmy II and Arabia", JEA, Vol. XV, 1929.
- Wright, T., Early Christianity in Arabia, London.